تحديات مسرح الطفل في ظل ثنائية الابداع وتعزيز القدرات

Challenges of the child's theater in light of the duality of creativity and capacity strengthening

بلحوالة سهيلة

جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانةk.souhila@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2021/09/05 تاريخ القبول: 2021/09/15 تاريخ النشر: 2021/12/16

ملخص:

مسرح الطفل هو واحد من أساليب التعليم الذي يطرح و بقدر عال من الفنية و الجمالية أفكارا تبث الوعي و تفجر الطاقات الإبداعية و السلوكية لدى الطفل ، وتفتح أفاقا سعة خيال الطفل و أحلامه ، تشع بالتفاؤل الذي يعمل على مهمة خطيرة في تنشئة الطفل و تكوينه .

وهذا الحديث يقودنا إلى التأكيد أن مسرح الطفل يحتاج بالأساس استعداد خاصا ، ينطلق من أسر البداية التي تشير إلى حداثة هذا الفن الذي لم يصل بعد إلى تلك الخبرة التي قد تحقق – و لو جزئيا – بعض ما يطمح إليه ممارسي مسرح الطفل ،و نقصد بهذا ذلك المزيج بين الإبداع و التجديد و الأصالة و الكشف عن كل ما يلتصق بواقع هذا الطفل

الذي يفرض تعليم المسرح بطريقة منطقية و علمية لكي تتم عملية نقل معنى المسرح باعتباره فكرة جيدة تحمل جهدا يساهم في إرساء البنية التحتية و التقاليد الثابتة لعملية التعلم. فكيف يمكن لمسرح الطفل أن يساهم في كسر هاجس التعلم ، و إلى أي مدى يمكنه أن يطرح بدائل على الساحة التربوية يمكنها تجسيد تحديات الطفل في مواجهة شبح المدرسة ؟.

كلمات مفتاحية: المسرح ،التربية ، التعلم ،التحديات ،التنمية ، الطفل ،الإبداع ، التعلم الفني.

Abstract:

Child Theater is one of the methods of education that presents, with a high degree of artistic and aesthetic ways, ideas that raise awareness and develop the child's creative and behavioral energies it is also open horizons of the child's imagination and dreams and influence the formation of the child.

This idea leads us to confirm that children's theater basically needs a special preparation, starting from the limited beginning , which refers to the modernity of this art, which has not yet reached that experience that may achieve - even partially

- some of what practitioners of this art aspire to, and we mean by that the combination of creativity, innovation and originality, revealing everything that refers to the reality of this child which imposes the teaching of theater in a logical and scientific way. This in order to contribute for the establishing of the infrastructure and the traditions of the learning process.

How can a child's theater contribute to breaking the obsession with learning, and to what extent can its present alternatives in the educational area that can embody the child's challenges in facing the fears of school?

Keywords. Theater- education- learning- challenges- progress- child – creativity – Artistic learning

1. مقدمة:

التربية المسرحية ظاهرة تعتمد الفن المسرحي كأداة لتحقق أهدافها الفنية و الجمالية لدى الطفل ،ليصبح المسرح امتدادا لعنصر اللعب هذا النوع من الفنون الذي يمزج فيه الخيال بالواقع بطريقة تلقائية تحمل الكثير من الاتجاهات تجتمع لتصنع عالما خاصا مليئا بالصور و الاصوات التي تعمل على تكييف نشاط الطفل بشكل يضمن استغلال الطاقة الكامنة عنده لتمكينه من المشاركة و بالتالي اكتشاف ذاته و تنمية خياله و مواهبه من خلال منحنى معين يؤسس لأسلوب سوي يحاول دفع الطفل الى اكتشاف كل غامض و طرح السؤال حول كل الأمور التي تحيط به في حياته بما فيها أمور المدرسة باعتبارها جانب مهم من هذه الحياة ، من هنا جاء التركيز على أهمية المسرح الذي يعتمد أساسا على عنصر الدراما و اللعب .

مسرح الطفل هو ذلك الفضاء الغامض المليء بالفراغات التي يتم ملؤها بطريقة صحيحة أحيانا و قد تكون الطريقة خاطئة أحيانا أخرى هو ذلك الفن الذي يحمل تلك السمة التي تساعد الطفل على فهم و إدراك العديد من القيم و المبادئ التي تعجز المدرسة و العائلة إيصالها للطفل ، مسرح يخدم الطفولة سواء جسده الكبار أم الصغار مادام الهدف هو إمتاع الطفل والترفيه عنه وإثارة معارفه ، أو يقصد به تشخيص الطفل لأدوار تمثيلية مليئة بالعب والمواقف الدرامية للتواصل مع الآخر. ويعني هذا أن الكبار يؤلفون ويخرجون للصغار ، أما الصغار فيمثلون ويعبرون باللغة والحركة ويجسدون الشخصيات بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. ومن هنا، فمسرح الصغار هو مسرح للطفل مادام الكبار يقومون بعملية التجسيد وهو كذلك مسرح الطفل إذا كان مسرحا يقوم به الطفل تمثيلا وإخراجا وتأليفا .

"فلا يمكن تحديد معرفة ما تعنيه عند قولنا (مسرح الطفل) إذ معه يمكن تفسير أشياء مختلفة تماما وفي الأقل شيئين : مسرح "ال" أطفال الذي يصنعه الأطفال أنفسهم ومسرح للأطفال يصنعه لهم الكبار"(1).

والطفل بطبيعته يميل إلى التقليد ،فهو يحاكي حركات من يعايشهم أو يخالطهم خاصة الآباء و الأمهات ، كما يحاكي أدوار البطولة في القصص أو الأعمال الدرامية التي يشاهدها ،"ففي داخل كل

طفل فنان صغير أو فنان تلقائي شامل يرقص و يمثل و يغني و يقلد الآخرين و يؤلف و يخرج فهو يصنع الدراما و يمارسها بتلقائية و بساطة بعيدا عن الحرفية والتقاليد الفنية المعروفة "(2) .من هنا تبدو أهمية اختيار "النموذج " الذي يقدم للطفل لأنه سيحاكي هذا النموذج بصفاته و سلوكياته .

فمسرح الطفل يعتمد تارة على التقليد والمحاكاة وتارة أخرى يعتمد على الإبداع الفني والإنتاج الجمالي.

من هذا المنطلق نحاول اللعب على وتر يعزف الحاجة الملحة إلى ضرورة تطوير المسرحية الموجهة لجمهور الأطفال و تحميلها مهمة كبيرة لتواكب ثقافة الطفل و مستواه الذي يتعرض لدراسات عديدة .

إلى أي مدى يمكن للمسرح أن يطرح بدائل على الساحة تكسر هاجس التعلم لدى الطفل ؟؟؟.

وكيف يمكن تفعيل دور المسرح في تحقيق تحدي الطفل في مواجهة شبح المدرسة ؟؟.

2. مسرح الطفل : أسلوب تحدي و خصوصية.

يعد مسرح الطفل واحد من الوسائط الثقافية ، و كذا إحدى الوسائل التربوية المهمة التي تجمع بين اللعب و المتعة و تساهم أيضا في تنمية قدرات الطفل الفكرية فهو وسيلة تربوية وتعليمية تتلاحم مع التربية الجمالية لكي تصنع مزيجا من التعلم الفني للطفل .

"لمسرح الطفل أثر هام في استثارة خيال الطفل وتنمية مواهبه وقدرته الإبداعية فالفنون المتعددة التي يقدمها لنا المسرح توقظ لدى الطفل الاحساس بالمبادئ الفنية الأولية ، و تسهم في تنمية وتنشيط عمليات الخلق و الابداع الفني "(3).

هذا المسرح هو واحد من أساليب التعليم الذي يطرح و بقدر عال من الفنية و الجمالية أفكارا تبث الوعي و تفجر الطاقات الإبداعية و السلوكية لدى الطفل ، وتفتح أفاقا سعة خيال الطفل و أحلامه ، تشع بالتفاؤل الذي يعمل على مهمة خطيرة في تنشئة الطفل و تكوينه منذ مراحله الأولى داخل المدرسة و خارجها .

وهذا الحديث يقودنا إلى التأكيد أن مسرح الطفل يحتاج بالأساس استعداد خاصا ، ينطلق من أسر البداية التي تشير إلى حداثة هذا الفن الذي لم يصل بعد إلى تلك الخبرة التي قد تحقق – و لو جزئيا – بعض ما يطمح إليه ممارسي مسرح الطفل.

"مسرح الطفل le Théâtre pour enfants تسمية تتوجه لجمهور من الأطفال يقدمها ممثلون من الأطفال أو من الكبار ، تتراوح غايتها بين التعليم و الإمتاع ، كما يمكن أن تشمل التسمية عروض الدمى التي تتوجه عادة للأطفال" (4).

و هذا يعني أنه مسرح يهتم بالطفل بالدرجة الأولى ، حيث يركز على :

تسلية الطفل و إمتاعه في حضور اللعب كجزئية أساسية :

نشير هنا إلى العامل الحاسم وممتلك الأهمية البارزة المميزة للعب في الحياة وصيغته المتطورة أيّ التمثيل. وعليه فالدراما (المسرح) عند الطفل هي شكل من أشكال تصرفاته .

تنمية قدرات الطفل خاصة من جانب الذوق الفني و الجمالي :

فالمسرح أحد الوسائل التي تنمي قدرات التذوق الفني مما يؤدي إلى ترسيخ هذا الفن في وجدان الطفل ، "فهو ثقافة في حد ذاته ، اذ يفتح عيون الأطفال على هذا الفن و يوجه أنظارهم إلى الأدب المسرحي " (5).

لقاء الطفل مع عالم ينبض بالحياة و يشع بالألوان.

فهو وسيلة لإثراء الثقافة و المعرفة وتنمية الطفل تنمية عقلية وفكرية واجتماعية ونفسية وعلمية وهو فن درامي تمثيلي موجه للأطفال يحمل منظومة من القيم التربوية و الأخلاقية والتعليمية والنفسية من خلال شخصيات متحركة على المسرح.

و نقصد بهذا ذلك المزيج بين الإبداع و التجديد و الأصالة و الكشف عن كل ما يلتصق بواقع هذا الطفل (همومه و طموحاته). واقع يفرض بالدرجة الأولى تعليم المسرح بطريقة منطقية و علمية لكي تتم عملية نقل معنى المسرح باعتباره فكرة جيدة تحمل جهدا يساهم في إرساء البنية التحتية و التقاليد الثابتة لعملية التعلم.

ونؤكد هنا على جانب تعليم المسرح ،لأنه يمثل أحد أبرز الوسائل التي يمكن من خلالها بناء وعي الطفل وتحديد قدراته وتشكيل شخصيته ثم تطوير خياله و تنمية مواهبه لأنه – أي المسرح– يقدم لنا مجموع الفنون المختلفة مجتمعة تحرك لدى الطفل الاحساس بالقيم ويعزز قدراته وينشطها .

لهذا يمكننا أن نؤكده أكثر الوسائط الثقافية تأثيرا و ربما كان أكثر قدرة على التوصيل و بالتالي يكون بمثابة المنهج إذا ما أحسن اختيار نصوصه و تقديمها كان ذلك لصالح تثقيف الطفل و اغناء معلوماته و تنمية شخصيته .

فما يهمنا في هذه الدراسة ليس التأسيس لمسرح مهمته الوحيدة هي طرح المناهج المدرسية لتصل إلى الطفل بالطريقة التي يستهويها ،و إنما الحديث عن جوهر المسرح فنيا و جماليا و كيف يمكنه أن يطور من شخصية الطفل ليواجه صعوبة الدرس ، كيف يمكن لهذا الطفل وفي حضور المسرح فنا و ليس منهجا دراسيا أن يكتسب الأسلوب الصحيح في رسمه للقاء الأول مع المدرسة هذا الفضاء الذي يعتبره الطفل في مراحله الأولى شبحا .

أي مسرح و أي تأسيس لحياة الطفل في حضن مسرح يكتفي ببرمجة الدرس مشهديا لتأخذ الصورة مكان الكتابة و تنتهي العملية عند هذا الحد .

أردنا التأكيد على الجوانب الجمالية في مسرح الطفل و ليست الجوانب التربوية ، لأن الطفل إذا توصل إلى فهم و إدراك الجانب الجمالي في المسرح فإنه سيقود كل العمليات فيما بعد ،و سيصل إلى حد استيعاب وعاء كل المواقف بما فيها وعاء الدرس و المنهج .

"فالطفل يقدم دوره وينفعل به و يعطيه كل صدقه و مشاعره البريئة ، يهيأ له أيضا عالما من القيم التي تغرس في عقله فيلتزم بها كقصص العظماء و سيرهم مثلا ، فهو إذن مشروع تثقيفي هادف يقدم بالصوت و الصورة و قد يغني الطفل عن الكتاب "(6).

للمسرح مهمة صعبة مهمة البناء و الارتقاء بالذوق الفني و الجمالي لدى الطفل ، في قالب درامي يسعى إلى تأصيل الثقافة والفن في نفسه لكي يصبح قادرا على مواجهة صعاب المدرسة و قلق الدرس.

"كما أنه ينمي لديه الحس النقدي منذ الصغر ، و تسهم تلك الأعمال المقدمة في تنشيط ذاكرة الطفل عن طريق جعله يتفاعل مع العرض المسرحي المقدم ،فنراه يناقش القضايا المطروحة أمامه "(7) .

بحيث يعمل على تغذية أذهان الأطفال فنيا و وجدانيا و يعمل على منهجة حياتهم عن طريق التأثر بمضمون العمل المسرحي بمجموع التقنيات و المستلزمات من ديكور و أزياء و إضاءة و موسيقى ، إضافة إلى بعض العوامل التي تخلق حالات الانفعال التي تصل بهم إلى الفرحة .

و لا يتوقف عند هذا الحد و إنما يواصل تنمية المفاهيم العلمية و الأخلاقية للطفل ، و يحفز المواهب الفنية و القيم الجمالية ليكون وسيلة للتعلم بطريقة غير مباشرة و نشاطا تربويا مكملا للأنشطة الأخرى في المدرسة .

"يقوم مسرح الطفل بمهمة تثقيفية جليلة ،وربما كان أكثر قدرة على التوصيل من الكتاب المقروء،لأن الأطفال ينجذبون بطبيعتهم للمسرح بوصف المسرحية نوع من اللعب التخيلي "(8)

كما يحقق المسرح الاتزان وينشط الجوانب المعرفية إلى جانب دمج الطفل في ثقافة مجتمعه

كما أنه يساعد الطفل على التغلب على الخجل ،وتوثيق الصلة بينه وبين المدرسة.

3. خصوصية مسرح الطفل بين الفنية و الجمالية :

تظهر أهمية مسرح الطفل وخصوصيته من خلال تنوع الأنشطة المجسدة و طبيعة المواضيع التي يستعرضها وكذلك مشاركة الطفل من خلال فعل المشاهدة مما يترتب عنه تنشيط ذاكرته من الناحية الفنية،الخيالية بشكل عام.

يتسم مسرح الطفل بعدد من الخصائص التي تجعله مقبولا لدى الطفل و قادرا على التأثير فيه:

1.3 الحبكة :

بحيث تسير الأحداث على نحو تكون فيه البداية مشوقة و الانتقالات مناسبة والنهاية مفرحة كما أن بنية الحبكة تؤكد التداعيات الذهنية و الحلم والاهتمام بالحكاية بشكل عام لأنه هنالك فريق كبير من الكتاب الذين مارسوا الكتابة للطفل يؤكدون أن المسرحية يجب أن تبدأ بالحكاية وتنتهي بها ، لما تمثله الحكاية في عالم الطفل فضلا عن استثارة الخيال لديه و تشويقه مع التركيز على عنصر الحركة التي تشكل الدور الرئيسي في العملية المسرحية لأنها تثير فضول الطفل و اهتمامه و تحقق له المتعة ، و يتقدم عرض الأحداث في المسرحية على وصفها بواسطة الممثل أو الراوي ، لأن التمثيل ضروري أيضا و أساسي في تقديم المسرحية ، حيث يعمل على تجسيدها و إبراز أبعادها بفضل وسائل التأثير الحيوية من ديكور و إضاءة و حركة و موسيقى ، من هنا يسهل مخاطبة الإدراك و التأثير في الوجدان و العقل و تحقق الكثير من غايات مسرحية الطفل بمواصفاتها الخاصة

صياغة و إدراكا و تأثيرا و تذوقا و تعبيرا عن عالم الطفل الخاص ، و هنا تظهر عناصر مشتركة أخرى كالخيال و الحوار المنبعث عن مواقف اللعب .

2.3 – الخيال:

الخيال بالنسبة للطفل هو ذلك الرفيق الذي يشاركه لعبه و كثيرا ما يتمثل عنه في صورة الطفل نفسه في المرآة أو في حيوان أليف يحبه ، أو دمية يتعلق بها و يشكو إليها ألامه و ما يعانيه ، و الشكوى تتجسد من خلال حوار يميل إلى البساطة لكي لا يشتت ذهن الطفل .

"التلقي في مسرح الطفل قائم على الحكاية التي تجسد من خلال ممثلين فوق خشبة المسرح ، حيث تكون–الحكاية – قريبة جدا من الطفل ، و يجب أن تحمل أهدافا متنوعة و مختلفة ، الهدف التربوي و التعليمي و التوجيهي الذي يكتسب منه الطفل بعض الحقائق و المعلومات المفيدة "(9) .

و لابد أن نركز على اختيار الألوان ، فالطفل يحب الألوان الجذابة التي تثير انتباهه و المواضيع الجديدة التي تثري رصيده . انطلاقا من الحدث الذي يكون مقنعا ، قريبا من مستوى إدراك الطفل ، متصلا باهتمامه بعيدا عن التعقيد و الغموض يحمله التنوع في الشخصيات بين البشر و الحيوان شخصيات ترمز إلى معاني معينة.

" و تؤدي أهدافا خاصة محددة ، وتدعو إلى سلوكات يراد غرسها في الأطفال و تعويدهم إياها و تقريبها إليهم ، و ذلك وفق الأصول و التربية الفنية المتعارف عليها " (10).

ولقد تم التركيز على عنصر الحبكة و الخيال و الحلم و الألوان لأنه في الحقيقة هذا ما يهم الطفل ، فالمسرحية التي اخترناها محورا للدراسة تحمل كل هذه الجوانب، وعنوانها "قصر الأحلام عرضت في اطار قسنطينة عاصمة الثقافة العربية من طرف جمعية براكسيس المسرحية هذا العمل يحكي مشهدا لبطلة العمل التي تحلم حلما و عندما تستيقظ تحاول حكايته لصديقتها ، رافق هذا الحلم الجانب الخيالي الذي رسم تسلسلا جميلا للأحداث في ظل ديكور غني بالألوان التي هي في الحقيقة خاصية الحلم قبل أن تكون خاصية مسرح الطفل ،لقد وجد المخرج سيد أحمد قارة في حلم البطلة حضورا قويا للألوان التي أرادها تحفيزا للطفل المتلقي و انتقى كل عناصر تكوين العرض من فضاء الطفل ،فاختار اللعبة أولا ، اختار الحلم باعتبار الطفل يعيش هذه الحالة تقريبا باستمرار ،اختار أيضا

الألوان التي امتزجت بموسيقى حققت تلقائية الطفل في حياته تلقائية مزت الخيالية و الفنية و الجمالية و وضعتهم في فضاء واحد هو نفسه فضاء الطفل .

نريد اليوم مسرحا يكتب و يجسد تلقائية الطفل بكل ما فيها من جمالية ، و ليس طرح مسرح هو في الحقيقة للكبار لكن يتم تحويره بما يتناسب مع الطفل ، و هذا الحديث يخص الكثير من الباحثين ،أنا شخصيا قرأت أعمالا لهم تؤكد أنه على المسرح أن يعالج مشاكل المجتمع ككل و يقدمها للطفل بما في ذلك مشكل الحروب وما إلى ذلك .

هنا نتساءل :أي هدف لمسرح الطفل سيتحقق في ظل هذه الحروب ؟ .

مسرح الطفل هدفه تطوير شخصية الطفل و بنائها و ليس تحطيمها و اخفاءها .

4. خاتمة:

رغم هذه الأهمية و الدور الذي يقوم به مسرح الطفل إلا أنه "عومل إلى وقت قريب على أنه المسرح المدرسي أو استخدام المسرح لغايات الدرس و التعليم و التربية ، و لم يعترف بانتماء مسرح الأطفال إلى الفن أو الأدب إلا متأخرا "(11).

هذا المسرح يحمل في طياته أشكالا و مضامين ترافقهما خصوصية ، فالشكل يرسم خطين: الدرامية و التعليمية و المضمون يبعث زاويتين :الخيالية و التربوية .

أما الخصوصية فتكتسب الفنية و الجمالية .

و يبقى في الاخير ، مسرح الطفل ...المسرح المدرسي ...المسرح الموجه للطفل مسميات كثيرة و دلالات مختلفة لمعنى واحد يحمل الكثير من القيم الأخلاقية و التربوية ،هدفه تنمية قدرات الطفل الذهنية و الوقوف على تربيته الجمالية .

تبقى القضية هي كيفية توظيف هذه الجوانب لكي تصبح أداة تساعد في بناء مهارات الطفل و تعزيز فهمه لكي نتوصل إلى تصور مقترح لمحتوى المسرحية التي يتم صياغتها دراميا بما يتناسب مع طبيعة الطفل و خصائصه التي تؤكد أهمية المسرح في تنمية وجدان الطفل و غرس القيم و الأفكار خاصة في زمن الثورة التكنولوجية و ما تتيحه من مؤثرات ووسائط سمعية و بصرية تسهم في جذب انتباه الطفل و تفاعله مع العرض .

إن مسرح الطفل اليوم لا يقتصر على حكاية و حبكة و شخصيات و حوار و انما الامر اختلف لأن الدراسات تؤكد أن للخيال و الحلم و اللون النصيب الاكبر في شخصية الطفل لذلك لابد من استثمارها و اللعب على اوتارها للحصول على مزيج يليق بهذا الطفل.

5. قائمة المراجع:

(1):ألفونسو ساستره –مسرح الطفل –تر :اشراق عبد العادل– دار المأمون للترجمة و النشر – العراق –بغداد – 2007–ص15.

(2):فوزي عيسى – مسرح الطفل – دار المعرفة الجامعية – د.ط –2008– ص6.

(3):ينظر :عويس مسعود–مسرح الطفل في التربية المتكاملة للنشىء – الهيئة المصرية العامة للكتاب –ط1– 1986–ص38.

(4):ماري إلياس ،حنان قصاب حسن – المعجم المسرحي و مصطلحات المسرح و فنون العرض– مكتبة لبنان ناشرون –لبنان –ط1– 1997–ص41.

(5):حنان عبد الحميد – الدراما و المسرح في تعليم الطفل –دار الفكر للنشر –الاردن – ط2–1993–ص24.

(6):ينظر :حسن مرعي – المسرح التعليمي – دار مكتبة الهلال – بيروت –ط1–2000– ص19،20.

(7):زينب عبد المنعم –مسرح و الدراما الطفل – عالم الكتاب – القاهرة –2007–ص15.

(8):جمال أبورية –المسرحية التلفزيونية للأطفال– الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة –1986–ص26.

(9):مفتاح محمد دياب – ثقافة وأدب الأطفال –الدار الدولية للنشر و التوزيع–مصر–1995–ص142.

(10):نجيب الكيلاني – أدب الاطفال في ضوء الاسلام –مؤسسة الرسالة – بيروت–1984–ص103،104.

(11):عبد الله أبوهيف – المسرح العربي المعاصر قضايا و رؤى و تجارب –منشورات اتحاد الكتاب العرب –دمشق –2002–ص197.